بقرة : (عِجل)

جاء اسم (بقرة) في القرآن الكريم تسع مرات ، وذلك في ثلاثة مواضع ، وهي في سورة البقرة ، وسورة الأنعام وسورة يوسف ، حيث يتكرر الاسم في الموضع الواحد ، ويأتي مع الدلالات الملازمة له في كل موضع ، فجاءت هذه المواضع والدلالات الملازمة للاسم كما يلي:

الموضع الأول: قصة ذبح البقرة في سورة البقرة:

جاء هذا الموضع في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة : ٦٧ ـ ٧٣]، وفي هذه الآيات نلاحظ عدة دلالات:

١ـ دلالة الحديث عن بني إسرائيل: هذه القصة تتحدث عن بني إسرائيل وعن علاقتهم بموسى عليه السلام، وطريقتهم في الاستجابة لأمر الله تعالى.

٢ـ دلالة الانتقال من الإطلاق إلى التقييد : توضح الآيات أن الله تعالى أمر بني إسرائيل أولاً بذبح بقرة أيًا ما كانت دون التقيد بصفات، فكان ذلك يسرًا ، لكنهم مكروا في تنفيذ الأمر ، فشدّد الله تعالى عليهم، كما ورد في تفسير ابن كثير:((فلو

لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ، ولكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم))[1] ومعنى ذلك أنهم انتقلوا من حال اليسر والإطلاق في اختيار البقرة إلى حال التشديد والتضييق في صفاتها ، ففي الآيات دلالة الانتقال من اليسر والإطلاق إلى العسر والتقييد ، وهى دلالة ترتبط بالحديث عن البقرة ، ولذلك تكرر اسمها في الآيات .

٣- دلالة إظهار أمر خفي : توضح الآيات أن السبب في أمر الله تعالى لبنى إسرائيل بذبح البقرة هو قتلهم نفسًا وإخفاء القاتل (فادّارأتم فيها) فأراد الله تعالى أن يظهر لهم قدرته على إحياء الموتى ، وأن يخرج ما كانوا يكتمون ، فالآيات تتحدث عن أمر خفي غيبي أخرجه الله تعالى وأظهره للناس ، وفى ذلك نفع وهداية لهم .

الموضع الثاني: تحريم جزء من البقر في سورة الأنعام:

وقد جاء اسم (بقر) في هذا الموضع في آيتين ، الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤ ﴾ [الأنعام:١٤٤] والآية الثانية في السياق نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦ ﴾ [الأنعام:١٤٦]، فهذا السياق في أوله يُنكر على المشركين تحريم جزء من الأنعام من عند أنفسهم ، فيمتنعوا عن أكلها والانتفاع بها نذرًا لمن يعبدون

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٣٣/١

من دون الله تعالى ، وهو تشديد على أنفسهم لم ينزله الله تعالى ، ولذلك جاءت الآيات تنفي أن يكون هذا التحريم من عند الله تعالى ، أو أن يكون المشركون شهداء على ما يحرمه الله تعالى ، والحديث عن تحريم المشركين جزءًا من البقر استلزم الحديث عمّا حرمه الله تعالى حقًا وأوحى بذلك لنبيه ليبلّغه للناس ، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ [الأنعام:١٤٥]، كما ناسب الحديث عن تحريم المشركين جزءًا من البقر من عند أنفسهم ، الحديث عن تحريم الله تعالى على اليهود (بني إسرائيل) جزءًا من البقر عقابًا لهم على بغيهم ، فهو تحريم (تضييق) على اليهود سببه بغيهم ، فهم الذين تسببوا في هذا التحريم ، كما أن المشركين هم الذين حرموا على أنفسهم ما حرموه من الأنعام (ومنها البقر) بغيًا من أنفسهم أيضًا، لأنه شرك .

ففي هذه الآيات نجد عدّة دلالات هي :

١- دلالة الحديث عن اليهود : فالآيات تتحدث عن تحريم جزءٍ من البقر على اليهود بغيًا من عند أنفسهم ، وهو يشبه تحريم المشركين لجزءٍ من البقر على أنفسهم ، فالحديث عن اليهود مرتبط بالحديث عن البقر سواء مع تحريم جزءٍ منه على اليهود أو تحريم جزءٍ منه على المشركين لوجود الشبه في هذا التحريم ، ولذلك جمع السياق بينهما .

٢- دلالة الانتقال من الإطلاق إلى التقييد : فالآيات تؤكد على أن الأصل هو الحلّ (الإباحة) في أكل هذه الأنعام ، فالله تعالى أحلّ كل البقر، ولذلك جاء أسلوب القِصر في بيان ذلك في هذا الموضع ، في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وهذا الأسلوب يُذكّر بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ ﴾ [آل عمران: ٩٣]، ولعلّ تسمية يعقوب عليه

السلام في هذه الآية بإسرائيل إشارة إلى التشريع الذي فرض على اليهود (بني إسرائيل) وهو تشريع ينتقل من الحِلّ إلى التحريم ، وهو ما جاء في موضع سورة الأنعام ، حيث توضّح الآيات أن تحريم جزء من البقر على اليهود كان تضييقًا عليهم بسبب بغيهم ، ومعناه أن الأصل هو الإباحة والإطلاق ، كما أن هذا الموضع يتحدّث عن تضييق المشركين على أنفسهم بتحريم ما أحلّ الله تعالى لهم من الأنعام ، ففي الآيات دلالة الانتقال من الحِلّ واليسر والإطلاق إلى التحريم والتشدّد والتضييق .

٣ـ دلالة إظهار أمر خفي : الآيات في حديثها عن المشركين توضّح جهلهم بالتشريع ، وجهلهم بالوحي ، فهم ليسوا أهل كتابٍ ، ولم يأخذوا تحريمهم المزعوم من وحي شهدوه ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فالتحريم (والتشريع عامة) لا يكون إلا من الله تعالى ، وهو أمر يُطلِع الله تعالى عليه أنبياءه، ولذلك أكدت الآيات أنه وحي ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ والنبي يبلغه للناس، فالتشريع من الوحي ، والوحي أمر غيبي يكون بين الله تعالى ورسله، ويبلغ الرسول ما أوحى إليه ، فيُخرج للناس ما هو صدق ونفع وهداية لهم ، ففي الآيات دلالة إخفاء الاطلاع على الغيب (الوحي بالتشريع) لأن الذين يحرمون من عند أنفسهم لم يكونوا شهداء على الوحي، وإنما يظهره الله تعالى على لسان رسله.

الموضع الثالث: في رؤيا الملك في سورة يوسف:

وجاء الحديث عن البقرة في هذا الموضع مرتين أيضًا ، مرّة في إخبار الملك رؤيته للملأ الذين عجزوا عن تفسيرها ، والمرة الثانية عندما أخبروا يوسف عليه السلام بهذه الرؤيا حيث أوّلها بما علّمه الله تعالى ، يقول سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ [يوسف: ٤٣]، ويقول سبحانه: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ [يوسف: ٤٦]، وفي هذه الآيات نلاحظ الدلالات الآتية :

١- دلالة الحديث عن بني إسرائيل: فقد جاءت أحداث هذه الرؤيا إنقاذاً لشعب مصر والأمصار الأخرى من القحط المقبل ، وإظهارًا لبراءة يوسف عليه السلام ونبوته ، ويوسف عليه السلام هو ابن إسرائيل عليه السلام ، والسورة تقص ما حدث له ولأبيه، وما حدث من بني إسرائيل (إخوة يوسف) ثم كيف استقر بهم الترحال في مصر ، ليكون منهم شعب بني إسرائيل الذي عاش في مصر وبعث الله تعالى لهم نبيه موسى عليه السلام ، فالآيات ذات صلة ببني إسرائيل ، لأن يوسف وإخوته هم بنو إسرائيل الأوائل ، وهذه الرؤيا التي فسرها يوسف كانت سببًا لمجيء بني إسرائيل إلى مصر ، وإكرامهم والاستقرار فيها .

٢- دلالة الانتقال من الإطلاق إلى التقييد : يلاحظ من وصف البقرات في الرؤية ومن تأويل الرؤية أن هناك سبع بقراتٍ سمانٍ تأويلها سنوات الخير والرخاء، ثم يعقبها بقرات عجاف يأكلهن السمان ، وتأويلها سبع سنين شداد مقحطة ، وهذا يدل على وجود يسر ورخاء في العيش يسبق العسر والشدة ، فهناك انتقال من حال اليسر والرخاء إلى حال العسر والشدة ، وهذه هي إحدى الدلالات الملازمة لاسم (بقر) في المواضع الأخرى مع تغاير مضامينها عن هذا الموضع ، والآيات هنا في سورة يوسف جاءت بوصف (شداد) الذي ينطبق في معناه على تشدد بني إسرائيل في أوصاف البقرة في موضع سورة البقرة ، وتشدّد المشركين في التحريم على أنفسهم ، والتشدّد على اليهود في التحريم لبغيهم على أنفسهم في موضع سورة الأنعام ، فالوصف (شداد) أكد دلالة التشدّد الموجودة في المواضع الأخرى ، فضلاً عن دلالة الانتقال من اليسر إلى العسر ، وكان من الممكن أن توصف السنين بالجدب أو الفقر أو العسرة ، لكن الآيات جاءت بهذا الوصف (شداد) الذي يحمل في طياته دلالة تشدّد الإنسان على نفسه ، وهو فعلاً ما كان في زمن يوسف عليه السلام حيث فرض سياسة الاقتصاد والادخار على الناس، فكان هناك تشدّدٌ في إعطاء الإنسان قدر حاجته لحين أن تمرّ سنين القحط دون حدوث وبال الفقر والمجاعة .

٣- دلالة إظهار أمر خفي : ونجد في الآيات دلالة وجود أمر خفي يظهره الله تعالى على يد نبي من أنبيائه، هذا الأمر الخفي (الغيبي) هو ما يحدث لخمس عشرة سنة مقبلة، وتمثلت صورته المبهمة في الرؤيا، وظهر تفسيره على لسان يوسف عليه السلام.

ففي هذه المواضع الثلاثة جاء اسم (بقر) تسع مرات في مضامين متغايرة ومع لزوم دلالي واحد وذلك بملازمة كل موضع دلالة الحديث عن بني إسرائيل، ودلالة الانتقال من اليسر والإطلاق (ذبح أية بقرة، إباحة أكل البقر، سنين الخير) إلى التضييق والتشدّد (صفاتٍ للبقرة التي تذبح ، تحريم جزء من البقر ، سنين شداد) ودلالة وجود أمرٍ خفي (قاتلُ النفسِ ، ما حرمه الله من الأنعام ، الرؤيا التي تنبئ بالمستقبل) ويظهره الله تعالى على يد أحدٍ من أنبيائه .

فهذه المواضع تغايرت مضامينها فالأول يتحدث عن أمر الله تعالى لبنى إسرائيل بذبح بقرة ، والثاني يتحدّث عن تحريم المشركين جُزءًا من الأنعام على أنفسهم ، وتحريم الله تعالى على اليهود جُزءًا من البقر لبغيهم على أنفسهم ، والثالث يتحدّث عن تأويل يوسف لرؤيا الملك ، فإذا كان قارئ القرآن الكريم لا يبحث عن لزوم دلالي يربط بين مواضع اسم بعينه ، فإنه لن يذهب إلى هذا الإحكام في وجود صلات دلالية بين هذه المواضع .

وهذه الصلات الدلالية (اللزوم الدلالي) تؤدي رسالة تُستفاد من هذه القراءة الأفقية للمواضع الثلاثة ، حيث يفيد هذا اللزوم الدلالي ألاّ يتشدد الناس على أنفسهم بظلمهم أو شركهم أو تحريم ما لم يحرمه الله تعالى ، وإنما يكون حالهم في اعتدال وطاعة لله تعالى ، دون تجاوز بقتل النفس ، أو تحريم المباح أو إسراف في الإنفاق يضيع ما يُدخر لحين الحاجة، فالمواضع الثلاثة تأمر بالاعتدال دون التشدد الذي يقترن بالظلم والبغي .

• عِجْل :

جاء اسم (عجل) في القرآن الكريم عشر مرات ، ويراد بالعجل في ثماني مرات العجل الذي عبده بنو إسرائيل ، ويراد بالعجل في مرتين العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام طعامًا للملائكة عليهم السلام ، وبذلك يمكن تقسيم هذه المواضع التي ورد فيها العجل كما يلي:

أولاً : مواضع العجل الذي عبده بنو إسرائيل :

وقد جاء الحديث عن هذا العجل في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٥١]، وفي المواضع الآتية (البقرة : ٥٤ ، ٩٢، ٩٣ ، النساء : ١٥٣، الأعراف : ١٤٨ ، ١٥٢ ، طه : ٨٨).

ثانياً : مواضع العجل الذي قدَّمه إبراهيم عليه السلام للملائكة :

وجاء الحديث عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ [هود:٦٩]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الذاريات:٢٦].

ويلاحظ في وصف القرآن الكريم لكلٍ من عجل بني إسرائيل، والعجل الذي قدمه إبراهيم، وفي سياق مواضع كل منهما؛ وجود عدة دلالات مشتركة كوّنت اللزوم الدلالي لاسم (عجل) هذه الدلالات هي:

١- عدم نفع العجل لمن قُدّم إليهم : حيث لم يستفد بنو إسرائيل من هذا العجل، فهو عجل مصنوع من ذهب ، فهو ليس للأكل ، قدّمه إليهم السامري ليعبدوه، فهو شرٌ لهم ، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طه:٨٩]، كما أنهم لم يستفيدوا بهذا الذهب الذي صنع منه العجل ، لأن موسى عليه السلام حرقه وألقاه في اليم ، يقول تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه:٩٧]، فلم ينتفع بنو إسرائيل من العجل لا أكلاً ولا ذهبًا ، وكذلك حال العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام للملائكة ، إذ لم يأكلوا منه ، ولم يحقق الغرض الذي أراده إبراهيم عليه السلام من تقديمه لهم ، فلم ينتفع الملائكة بشيء من هذا العجل .

٢- وجود أثر الرسول على العجل : فقد صنع السامري العجل الذي عبده بنو إسرائيل من الحُلِيّ الذي أخرجوه معهم من مصر ، وبعدما صنعه ألقى عليه قبضة من تراب أخذه من أثر الرسول ، وهو جبريل عليه السلام ، يقول تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ

إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه:٩٦]،

وعن تفسير هذه الآية يقول الرازي: ((عامة المفسرين قالوا المراد بالرسول جبريل عليه السلام ، وأراد بأثره التراب الذي أخذه من موضع حافر دابته))(١) فالعجل الذي وصفه السامري كان عليه أثر من ملكٍ جاء وصفه في الآيات بأنه (رسول) فإذا نظرنا إلى العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام للملائكة ، نجد أنه عِجْلٌ عليه أثر من إبراهيم عليه السلام؛ لأنه هو الذي قدمه للملائكة ، وينطبق على إبراهيم عليه السلام وصف (الرسول) ثم لهذا العجل صلة بالملائكة لأنه مقدّم إليهم وإن لم تصل أيديهم إليه، فكلا العجلين وقع عليهما أثر من الرسول (جبريل وإبراهيم عليهما السلام) وكلاهما له صلة بالملائكة .

٣ـ تقديم العجل لضيوفٍ على المكان : حيث صنع السامري العجل لبني إسرائيل وقدمه إليهم ليعبدوه بعدما خرجوا من ديارهم في مصر مع موسى عليه السلام ، وجاوزوا البحر ليمكثوا تجاه بيت المقدس ، وعندما تركهم موسى عليه السلام ليذهب لميقات ربه تعالى ، قدّم لهم السامري العجل ، فلم تكن تلك الأرض التي حلّ فيها بنو إسرائيل بأرضهم ، وإنما هم ضيوف على هذا المكان ، يقول ابن كثير: ((وهكذا عند أهل الكتاب ، فإن عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس)) (١) فلم يكن موطن استقرار وإنما مكان ارتحال .

وقد قدّم إبراهيم عليه السلام العجل للملائكة بوصفهم ضيوفاً عليه، وهم من انفردوا في القرآن الكريم بهذا الوصف، يقول تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الذاريات:٢٤]، فلم تكن الملائكة في مكان بقاء لهم .

٤ـ عِظم شكل العجل وتجسده بلا روح : فقد كان العجل الذي عبده بنو إسرائيل عجلاً ذا هيئةٍ مبهرة لأنه مصنوع من الذهب ، ووصفه القرآن الكريم بأنه جسد له خوار ، أي جماد يحدث خوارًا ، وليس كائنًا حيًا يتفاعل مع الآخرين ، يقول

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ١١١/٢٢
(١) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ٢٨٤

تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٨]، فكان لهذا العجل شكل مُبْهِر .

وكذلك نجد الآيات تصف شكل العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام للملائكة ، فتصرح بوصفه إظهارًا لِكرم الخليل عليه السلام ، فهو عجل سمين كما جاء وصفه في سورة الذاريات ، أي ليس بالهزيل وإنما له صورة مرضية، يقول ابن كثير: ((أي من خيار ماله))(١) وهو عجل حنيذ ، يقول الراغب: ((أي مشوي بين حجرين ، وإنما يفعل ذلك لتتصبب عنه اللزوجة))(٢) فيأخذ بشوائه لون الصفرة المائل للحمرة (وهو لون الذهب الذي صنع السامري منه العجل) وهو بشوائه أطيب رائحة وألذ طعمًا وأشهى منظرًا فلكلا العجلين صورة مبهرة ، ويشبه عجل السامري العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام في أنه جسد بلا روح ، فالآيات تتحدث عن عجل الضيافة وهو في هذه الحالة التي أصبح فيها جسدًا بلا روح ، دون وصفه في الحياة، فليس حاله كحال البقرة التي وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ [البقرة :٧١]، إذ لم يأتِ وصف العجل في القرآن الكريم وهو كائن حي .

٥- صفة العَجَلَةِ للنبي مع أنها مشتقة لغة من مادة اسم (عجل) :

وهو من بديع القرآن الكريم ، إذ من أنماط الفصاحة والبلاغة اختيار اللفظ دون مرادفه لوجود معنًى يؤديه هذا اللفظ في السياق لا يؤديه المرادف له ، أما ما نجده في القرآن الكريم فهو أمر آخر ، وهو اختيار اللفظ لوجود معنًى في أحد مشتقات مادته ، ولا يؤدي هذا اللفظ هذا المعنى في السياق ، وإنما يرتبط هذا المعني بلفظ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٨١/٧
(٢) الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ١٠٢

آخر في السياق ، ليكون اختيار اللفظ مع وجود هذا المعنى لغيره في السياق من باب المناسبة بين اللفظ وما يلازمه من دلالة ليست لازمة له في غير القرآن الكريم، وهذا ما نجده مع اسم (عجل) الذي يعرِّفه ابن منظور بقوله: ((والعجل ولد البقرة والأنثى عجلة))[٣] فإذا كان اسم (عجل) يطلق على ولد البقرة ، فإن المادة التي اشتق منها وهي مادة (عجل) اشتق منها كذلك اسم (العَجَلَة) بمعنى السرعة ، غير أن استعمال البشر لاسم (عِجْل) الدال على الحيوان لا يكون باقتران دلالته بدلالة السرعة ، فهو لا يدل على السرعة في استعمال البشر ، وكذلك في استعمال القرآن الكريم ، حيث لا نجد في الآيات إطلاق اسم (عِجْل) على الحيوان للدلالة على وصفه بالسرعة أو نحو ذلك ، وإنما نجد القرآن الكريم بأسلوب بديع يأتي بدلالة السرعة لغير العجل (الحيوان) حيث جاءت دلالة السرعة مع استعمال العِجْل الذي عبده بنو إسرائيل في وصف استعجال موسى عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه:٨٣ ـ٨٤]، ونجد دلالة السرعة مع استعمال العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام للملائكة في وصف سرعة إحضار إبراهيم عليه السلام للطعام، يقول تعالى: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ [هود: ٦٩]، فأسلوب الآية يصور سرعة إعداد إبراهيم عليه السلام للطعام ، إذ لو لبث (مكث) قليلاً لعلم من ضيوفه أنهم ملائكة لا يأكلون ، لكنه تعجل لعبادة إكرام الضيف ، وهو ما وُصف به أيضًا في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الذاريات:٢٦] يقول ابن كثير:((أي انسل خفية في سرعة))[١] فنجد دلالة العجلة (السرعة) وصفًا لإبراهيم ولموسى عليهما السلام ، وليست وصفًا للعجل ، مع أن دلالة العجلة (السرعة) مشتقة من

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجل) ٤٢٩/١١
(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٧ / ٢٨١

مادة (عجل) التي اشتق منها اسم (عِجل) الدال على الحيوان ، فإذا كان من الفصاحة والبلاغة استعمال اللفظ لأدائه معنى من المعاني الدقيقة له لا يؤديه غيره، فإن اللزوم الدلالي يختلف هنا عن ذلك ، إذ يأتي باللفظ مجاورًا لِلّفظٍ يؤدي معنًى يناسب أحد مشتقاتِ اللفظ الأول ، فاسم (عِجل) في الآيات لا يؤدي معنى العجلة (السرعة) وإنما يجاور معنى العجلة الذي جاء في السياق وصفًا لغيره .

وممّا سبق يلاحظ أن اللزوم الدلالي لاسم (عِجل) تكّون من عدة دلالات هي: عدم نفع العجل لمن قدّم إليهم ، ووجود أثرٍ للرسول على العجل ، وله صلة بالملائكة، وتقديم العجل لضيوف على المكان ، وتصوير العجل في صورة مبهرة ، ووصفه بأنه جسد بلا روح ، وصفة العجلة (السرعة) للنبي المذكور في السياق وليست وصفًا للعجل .

ثعبان: (حيّة)

جاء اسم (ثعبان) مرتين في القرآن الكريم ، وهما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٦-١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٢-٣٤]، والآيتان تقصّ ما حدث بين موسى عليه السلام وفرعون ، فانقلاب العصا هنا لثعبان مبين كان أمام فرعون.

وقد جاء اسم (حيّة) مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ [طه:١٩-٢٣)]، وهذه الآية تقصّ ما كان من الكلام بين الله تعالى ونبيه موسى عليه السلام ، حيث ناداه الله تعالى وأمره أن يلقي عصاه فانقلبت حية تسعى .

فهناك فرق في استعمال اسم (ثعبان) عن استعمال اسم (حيّة) حيث جاء اسم (ثعبان) مع وصفه بالمبين أي الظاهر ، وهو في مقام إظهار الآيات لفرعون وملئه ، فصارت العصا ثعبانًا غليظًا يُرهب ويُبهر من يراه ، أما اسم (حية) فقد جاء في مقام إعطاء الله تعالى لموسى الآيات لأول مرة ، واطّلاع موسى عليها ليتعلّم كيف يظهرها فيما بعد ، فلم يكن هذا المقام – مقام كلام الله تعالى مع نبيه - في حاجة لآية عظيمة في الحجم مثل الثعبان ، وإنما أظهر الله تعالى لنبيه وجود الآيات بتحوّل العصا إلى حية تتحرك وتدب فيها الحياة ، وليس هناك حاجة لإظهار ضخامتها في هذا المقام ، أما في مقام الحديث مع فرعون تنقلب العصا لحيوان

ضخم ليكون ذلك أكثر إرهابًا لطاغية مثل فرعون ، ولأن هذا الحيوان فيما بعد سيلقف حبال السحرة وعصيهم التي تبدو كحيات صغيرة تسعى .

ولعلّ الفرق بين اسم (ثعبان) واسم (حية) من باب الفروق اللغوية بين المترادفات وليس من باب اللزوم الدلالي لكل اسم ، وإن كان ابن منظور يذكر أن هناك مَن لم يفرّق بين اسم (ثعبان) واسم (حية) يقول ابن منظور: ((الثعبان: الحية الضخم الطويل الذكر خاصة ، وقيل كل حية ثعبان))(١) وقد فرّق القرآن الكريم بوضوح فيما بين الاسمين ، إذ وصف الثعبان بالمبين الدال على الضخامة، ووصف الحية بأنها تسعى ، وأمر موسى عليه السلام بأخذها وهو ما يشير إلى عدم ضخامتها مثل الثعبان ، وكل ناسب المقام الذي جاء فيه، وسواء أكانت هذه التفرقة موضوعة في أصل اللغة أو أنها من استعمال القرآن الكريم للاسمين ، فإن ثمة لزومًا دلاليًا لاستعمال هذا الحيوان في القرآن الكريم، وهو ملازمته دلالة قلب عصا موسى عليه السلام إظهارًا لنبوته ، وذلك بقلبها حية في مقام تعليم موسى الآيات دون خوف ، وقلبها ثعبانًا مبينًا في مقام إظهار الآيات لفرعون ومن معه .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثعب) ١/ ٢٣٧

جـــــــراد

جاء اسم (جراد) مرتين في القرآن الكريم ، وذلك في الموضعين الآتين :

الموضع الأول : انتشار الجراد عقوبة لفرعون وأتباعه : وهو في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف:١٣٢- ١٣٣]، وهو بيان لما أرسله الله تعالى من رجز على فرعون ومن معه إنذارًا لهم بما هو أشدّ ، فكان الجراد ومعه الطوفان وغيره من العذاب الأدنى ، فهرعوا إلى موسى عليه السلام يطلبون منه أن يدعو الله تعالى ليرفع العذاب عنهم ، يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأعراف:١٣٤]، لكنهم استمروا بعدها في كفرهم وعنادهم مع موسى عليه السلام، واتهامهم له بالسحر .

الموضع الثاني : الجراد المنتشر مثال للخروج للحساب والعقاب في خطاب الكافرين : وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر: ٤– ٩]، والجراد هنا تشبيه لحال بعث الكفار من القبور .

ويلاحظ في كلا الموضعين عدّة دلالات مشتركة هي :

١- توجيه الخطاب للكافرين : فالجراد جاء في سورة الأعراف عقابًا لفرعون وأتباعه ، وجاء الجراد في سورة القمر في تشبيه بعث الكافرين للحساب يوم القيامة ، فالآيات في سورة القمر تخاطب الكفار، ويعود الضمير في (أبصارهم، يخرجون، كأنهم) على الكفار مع أن الخروج من القبور ليس مقصورًا عليهم ، فالآيات تتوعدهم وتوجّه الخطاب إليهم .

٢- إرسال الآيات الحسية المشاهدة وادّعاء الكافرين أنها سحر : فقد جاء الجراد في سورة الأعراف بوصفه من الآيات المفصّلات ، أي آيات ظاهرة ومتعدّدة، وهو من الآيات الحسية المشاهدة التي قابلها فرعون وأتباعه بادّعاء أنها سحر ، وتخبر الآيات في سورة القمر أن الذين كذبوا رسالة محمد ﷺجاءتهم أنباء السابقين ، وأنذروا بالعذاب ورأوا من الآيات الظاهرة الحسية التي يقول عنها الله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ ﴾ [القمر:١-٢]، فالآيات تتحدث عن آية حسية ومعجزة أيّد الله تعالى بها رسوله محمدًا ﷺ ، وقد ذكر ابن كثير اتفاق العلماء على وجود هذه المعجزة في زمن الرسول ﷺ ، وذكر الأحاديث الصحيحة التي تحدّثت عن معجزة شق القمر ، ومنها ما رواه البخاري عن أنس مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما (١) ، وسورة القمر تصف أخبار السابقين بأنها أنباء وحكمة بالغة ، ومع ذلك أعرض الكفار عنها ووصفوا نبيهم بالسحر ، مثلهم مثل فرعون ومن كفر معه بعدما جاءهم موسى بالآيات المفصلات والنذر .

٣ – معرفة الداعي إلى الحق واللجوء إليه : فالسياق يذكر في سورة الأعراف أن أتباع فرعون توجهوا إلى موسى عليه السلام عندما نزل بهم العذاب يسألونه أن يدعوا الله لهم بكشف العذاب ، يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا

(١) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣١٤/٧

رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ونجد هذه الدلالة في سورة القمر ، فالآيات تصف الكفار بأنهم يهرعون إلى الداعي يقول تعالى : ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [القمر:٨]، ويعرفون وقتها أن هذا اليوم يوم عسير عليهم ، فهو مماثل لما حدث مع موسى عليه السلام في موضع سورة الأعراف، ففي كلا الموضعين جاء وصف الكفار باسراعهم إلى الداعي ومعرفة أن الحق معه.

٤- عقوبة الغرق بالطوفان وحدوثه من جهتين وبقاء آية تدل عليه :

جاءت عقوبة الغرق بالطوفان أو بمثيله (اليم) في موضع سورة الأعراف مرتين ، الأولى : بإرسال الطوفان مع الجراد على أتباع فرعون دون إهلاكهم، والثانية : بإغراقهم مع فرعون في اليم ، يقول تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، ويلاحظ أن غرق فرعون ومن معه في اليمّ كانت له كيفية خاصة ، حيث انفلق اليمُّ فِرقين وعندما مرّ فرعون ومن معه بينهما اجتمع كل فرق بالآخر ، وهذه الصورة ينبغي أن نتخيلها لأنها تُظهر أن غرق فرعون أشبه بالطوفان ، حيث لم يُلقَ فرعون في البحر ، وإنما تحول البحر ليابسة ثم جاءه الماء من جهتين ، وقد أخرج الله تعالى بدن فرعون ليكون لمن خلفه آية ، وهذه الصورة تشبه الطوفان الذي تتحدث عنه سورة القمر في موضع اسم (جراد) فبعد تشبيه خروج الكفار من القبور بالجراد في موضع سورة القمر جاء الحديث مباشرة عن قوم نوح وعقابهم غرقا بالطوفان ، يقول تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [القمر : ٩-١٥]، والسياق يربط بين الكافرين الذين شبهت خروجهم بالجراد وقوم نوح بقوله تعالى (كذبت قبلهم) وجاء وصف ماء الطوفان في سورة القمر بأنه من جهتين ، من جهة السماء ومن جهة الأرض ،

ثم التقى الماء من كلتا الجهتين، كما هو حال ماء البحر الذي غرق فيه فرعون حيث التقى الماء من كلتا الجهتين، وانقسام البحر إلى فرقين يشبه انقسام القمر إلى شقين ، ولقد ترك الله تعالى للناس آية من غرق قوم نوح ، يقول ابن كثير : (("ولقد تركناها آية" : يقول قتادة أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة ، والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن))(١) فالسياق يذكر أن الله تعالى أبقى آية تدلّ على غرق قوم نوح كما أبقى آية تدل غرق فرعون لمن خلفه ، ويؤكد الشبه بين طوفان قوم نوح وطوفان فرعون أن اسم (الطوفان) لم يرد في القرآن الكريم إلا مرتين ، مرّة في سورة الأعراف لفرعون وأتباعه ، يقول تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، ومرّة لقوم نوح يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ [العنكبوت:١٤]، فاسم (جراد) في سورة الأعراف وفي سورة القمر اقترن بالطوفان والإهلاك بالغرق، مع تقارب صورتي الغرق .

٥- صفة الانتشار ودلالة التجرّد من النعيم والزينة : فالجراد كان عقوبة لأتباع فرعون ، ومعنى أن يكون الجراد عقوبة أنه كان كثيرًا ومنتشرًا ، يأكل زروع مصر التي وصفها القرآن بأنها جنات ونعيم ، يقول الزمخشري : ((فبعث الله عليهم الجراد ، فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ، ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت ، والثياب))(٢) وتقترن دلالة انتشار الجراد بدلالة التجريد ، ليس فقط مما ذكره الزمخشري من أكل الجراد لسقوف البيوت والثياب ، وإنما من دلالة أكل الجراد للزروع ، وهو من آثار هجوم الجراد حتى يومنا هذا ، حيث تتجرّد الأرض الخضراء من زينتها لتصبح صعيدًا جرزا ، فزينة الأرض وكسوتها هي الزروع ، ولذلك يقول تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا ﴾ [السجدة:٢٧]، فإرسال الجراد عقوبة لفرعون وأتباعه يدل على أن الجراد جرّد أرضهم من الزروع والثمار ، وبذلك يستثمر القرآن الكريم الدلالة اللغوية التي

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣١٦/٨
(٢) الزمخشري ، الكشاف ،١٩٢/٢

اشتق منها اسم الحيوان (الجراد) لتكون هي الغرض من وجود هذا الاسم في هذا السياق، فإذا كان اسم (جراد) اشتق من مادة (جرد) الدالة على التجريد وهو التعرية ونزع ظاهر الشيء ، فإن اسم (جراد) جاء في السياق ليؤدي دلالة تجريد فرعون وأتباعه من زينة الزروع ومُلك الثمار ، لتكون هناك مناسبة بين دلالة مادة الاسم والسياق الوارد فيه في القرآن الكريم ، وهذه المناسبة ليست لازمة للاسم في غير القرآن الكريم ، فعندما نقول : خلق الله تعالى الجراد وهو نوع من الحشرات له ست أرجل ، فإن ذلك السياق لا يربط بين دلالة التجريد واسم الجراد ، فالقرآن الكريم يستثمر المادة اللغوية للاسم ويجعلها من لوازمه في السياق على الرغم من أنها ليست من معاني الاسم في غير القرآن الكريم .

وصرّحت الآيات في سورة القمر بصفة الانتشار للجراد ، يقول تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧]، والمعنى الظاهر من هذا التشبيه هو : خروج الناس من قبورهم في كثرة وتتابع وسرعة ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج:٤٣]، وذكر الرازي احتمال لفظ (منتشر) لمعنى آخر مأخوذ من النشر والنشور أي الخلق والتكوين من جديد فيقول: ((الجراد المنتشر في الكثرة والتموّج ، ويحتمل أن يُقال المنتشر مطاوع نشره إذا أحياه))[1] وهو لا يتعارض مع دلالة الانتشار على الكثرة والتتابع والسرعة يوم الخروج ، فصفة الانتشار تُظهر وجه الشبه من التشبيه بالجراد ، ومع دلالة الانتشار نجد أيضًا دلالة التجريد ؛ فالناس يُبعثون من قبورهم مجرّدين من كل شيء كما خلقوا أول مرة ، ويكونوا مجرّدين في يوم الحشر العظيم من الأموال والثياب كما بيّنته الأحاديث النبوية الشريفة ، وبذلك نجد أن القرآن الكريم يستثمر دلالة مادة اسم (جراد) على التجريد (التعرية) بأن يستعمل الاسم في سياق يدل على معنى التجريد ، فهناك مناسبة بين دلالة المادة اللغوية للاسم والسياق المذكور فيه ، مع أنه لا يلزم في غير القرآن الكريم اقتران دلالة التجريد باسم (جراد) فهو استثمار بلاغي ولزوم دلالي خاص بالقرآن الكريم .

٦- دلالة اسم السورة على مضمون الموضع الآخر : حيث جاء اسم (جراد) في الموضع الأول في سورة الأعراف التي سميت بهذا الاسم لأنها السورة الوحيدة التي تتحدّث عن مشهد الأعراف يوم القيامة ، يقول تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى

(١) الرازي ، التفسير الكبير ،٢٩/٣٥

ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأعراف:٤٦]، والسياق يتحدّث عن حوار بين أهل الجنة وأهل النار ، وقد فصَل بينهما حجاب ، وعلى الأعراف رجال يَعرفون أهل الجنة وأهل النار ، وكما أنهم ينادون أهل الجنة ينادون أهل النار، يقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٨]، فالسياق الذي ورد فيه اسم سورة الأعراف يتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة يُعرف فيه الحق، ويُعرف فيه أهل الجنة بسيماهم وأهل النار بسيماهم، وهذا المضمون قريب من مضمون الموضع الثاني الذي جاء فيه اسم (جراد) في سورة القمر، حيث جاء اسم (جراد) في سورة القمر مع مضمون خروج الكفار من الأجداث يوم القيامة يعرفون ما كانوا عليه من الضلال ويعرفون أنهم في يوم عَسِر، فاسم سورة الأعراف التي جاء فيها اسم (جراد) يدل على مضمون الآيات التي جاء فيها اسم (جراد) في سورة القمر .

وسميت سورة القمر بهذا الاسم لحديثها عن آية انشقاق القمر التي جعلها الله تعالى معجزة لنبيه ﷺ ، وهذا المضمون (تأييد الله تعالى لأنبيائه بإرسال المعجزات وإقامة الحجة بها على الكافرين) هو مضمون الآيات التي جاء فيها اسم (جراد) في سورة الأعراف ، حيث جاء اسم (جراد) في سورة الأعراف مع مضمون إرسال الآيات المفصلات (الطوفان ، الجراد ، القمل ...) معجزة لموسى عليه السلام، وحجة على فرعون وأتباعه ، فاسم كل سورة جاء فيها اسم (جراد) يدل على مضمون الموضع الآخر الذي جاء فيه اسم (جراد) .

وبذلك نجد أن اسم (جراد) جاء مع اللزوم الدلالي الآتي : توجيه الخطاب للكافرين، وإرسال الآيات الحسية المشاهدة وادّعاء الكافرين أنها سحر، و معرفة الداعي إلى الحق واللجوء إليه ، وعقوبة الغرق بالطوفان وحدوثه من جهتين ، وإبقاء آية بعد الإهلاك تدل عليه ، وصفة الانتشار والتجرّد من النعيم والزينة، ودلالة اسم السورة على مضمون الموضع الآخر.

- جمل : مع (إبل)
- جياد : مع (خيل)

حمار

جاء ذكر الحيوان المعروف باسم (حمار) في القرآن الكريم خمس مرات ، وقد جاء الاسم في ثلاث صيغ هي (حِمار، حُمُر، حمير) ونجد أن الاسم في صيغه الثلاث قد لازمته دلالة قيام الحمار بعملٍ ليس من شأنه في الأصل ، وهذا اللزوم الدلالي جاء في جميع المواضع ، وكذلك نجد دلالة تخصّ كل صيغة من الصيغ الثلاث ، وذلك كما يلي:

١ - صيغة المفرد (حمار) ودلالة إعطاء بني إسرائيل الآيات الدالة على البعث :

جاءت هذه الصيغة مرتين ، الأولى في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقد ذهب ابن كثير إلى أن القول المشهور عند المفسرين أن القرية هي بيت المقدس بعد تخريب بخت نصر لها وقتل أهلها ، وأن الرجل الذي مرّ عليها هو عزير عليه السلام ، وهو من أنبياء بني إسرائيل قدّسه اليهود [(١)] والآية تقصّ معجزة يراد بها إظهار قدرة الله تعالى على البعث والإحياء ، وجاء ذكر الحمار فيها لأنه كان كالأداة التي ظهرت عليها قدرة البعث والإحياء ، يقول ابن كثير: ((تفرَّقت عظام حماره حوله يمينًا ويسارًا فنظر إليها وهى تلوح من بياضها ، فبعث الله ريحًا فجمعتها من كل موضع من تلك المَحَلَّة، ثم ركّب كل عظم في موضعه حتى صار حمارًا قائمًا من عظام لا لحم عليها، ثم كساها الله لحمًا وعصبًا وعروقًا وجلدًا))[(٢)] فيلاحظ أن الحمار حدث له ما لا يحدث لمثله ، حيث مات وبعث قبل وقت البعث والحساب ، ليكون آية لغيره على هذه القدرة ، فالحمار هنا يؤدِّي عملاً ليس معتادًا من مثله، فليس من شأن الحمار أن يبعث قبل البعث ثم يموت ثانية ، فالحمار استخدم لأداء وظيفة ليست من شأنه .

---

(١) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٦٦ وتحدَّث ابن كثير بالتفصيل عن هذه القصة في كتابه: قصص الأنبياء ، ٣٩٤

(٢) نفسه ، تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٣٦٦

وجاء اسم (حمار) في المرة الثانية في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ ﴾ [الجمعة:٥-٦]، والآية تتحدث عن اليهود (بني إسرائيل) حيث تصفهم بعدم الاستفادة من التوراة المنزلة إليهم ، فقد حملوها من دون أن يفهموا مقاصد التنزيل وينصاعوا لأوامر الله تعالى، والسياق يصفهم بخوفهم الشديد من الموت لعلمهم بجرم ما هم عليه ، وتؤكد لهم الآيات لقاء الموت، يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [الجمعة:٨]، فهذه الآيات في سورة الجمعة تشترك مع الموضع الأول في سورة البقرة الذي جاء فيه صيغة المفرد (حمار) في دلالات محددة، أولها: الحديث عن بني إسرائيل ، فإماتة عزير وحماره وإحياء كل منهما آية للناس، وهم وقتها بنو إسرائيل، فعزير من أنبيائهم وكان حافظًا للتوراة عالمًا بها ، وكذلك جاء الموضع الثاني في سورة الجمعة بالحديث عن بني إسرائيل ، وتشبيه عدم انتفاعهم بالآيات المنزلة إليهم.

كما يشترك الموضعان في الحديث عن البعث فالمراد من معجزة إحياء الحمار أن يتأكد بنو إسرائيل من البعث ، وهو ما جاء في الموضع الأول ، والتأكيد على لقاء الموت والبعث هو ما توجّه به السياق في خطابه لليهود في الموضع الثاني ، فصيغة المفرد (حمار) جاءت مع دلالة إعطاء بني إسرائيل الآيات الدالة على البعث ليؤمنوا به ويعملوا بما أنزل إليهم ، وهذه الآيات قريبه منهم .

ومع هذه الدلالة الملازمة لصيغة المفرد نجد اللزوم الدلالي لاسم (حمار) الذي يلازمه في جميع صيغه ، وهو استخدام هذا الحيوان فيما ليس من شأنه القيام به أصلاً ، فليس من المعتاد أن يكون الحمار آية للبعث ، فيموت ويبعث قبل ميعاد البعث، وليس من شأن الحمار أيضًا أن يحمل الأسفار تشبيهًا له بمن يتحمّل التكاليف المنزلة في الآيات، فإن الحمار لن يُدرك مقاصدها، ولذا فإن حمله للأسفار

(الآيات) أداء لعمل ليس له ، وإنما هو في الأصل للإنسان العاقل المدرك الذي يحمل هذه الأسفار فيدرك معانيها ويعمل بمقتضاها، فالحمار في كلا الموضعين قام بعمل ليس من شأنه القيام به .

٢ - صيغة جمع الكثرة (حُمُر) ودلالة النفور من الوحي :

جاءت هذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾ [المدثر:٤٩-٥٢]، وفي هذه الآية تشبيه للمعرضين عن الذكر الذي نزل نفعًا لهم، فهم يشبهون حمر الوحش المستنفرة التي تفرّ من الرماة أو الأسد، يقول الزمخشري: ((ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب))[١] وتنفرد هذه الصيغة بدلالة النفور من الوحي، ويلاحظ أن هذه الصورة التشبيهية تفيد أن الكفار يفرون من الوحي ويخافون من الإقبال عليه، وهذا العمل ليس هو المطلوب منهم ، كما أن كل واحد منهم أراد الوحي لنفسه، وليس ذلك هو المطلوب منهم ، فهم مأمورون بالإيمان بالوحي وليس البحث عن شرف الرسالة لكل واحدٍ منهم ، فالكفار الذين شبهوا بالحُمُر يؤدون عملاً ليس لهم أن يقوموا به أصلاً ، فالأصل أن يعوا التذكرة ويؤمنوا بها ويقبلوا على ما فيه نفع لهم، لكنهم نفروا منها ، وأرادوا ما ليس لهم القيام به وهو تلقي الصحف المتضمنة الوحي ليكون ذلك من باب الوجاهة والرياسة لكل واحدٍ منهم .

فالحُمُر جاءت في الآيات تشبيهًا للذين يعملون عملاً ليس لهم القيام به ، ويريدون القيام بعمل ليس من شأنهم وهذه الدلالة هي الدلالة الملازمة لاسم (حمار) في جميع مواضعه .

٣ - صيغة الجمع (حمير) ودلالة الزينة والانتقال من المكان :

جاءت هذه الصيغة مرتين ، الأولى في قوله تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (النحل:٨) وهذه الآية في سياق امتنان الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم حوائجهم الأساسية كاحتياجهم لركوب الدواب في

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٤ / ٥٠٤

الأسفار ، وخلق لهم أيضًا منافع ثانوية كالزينة ، فالإنسان يستطيع أن يعيش من غير زينة ، لكن الله تعالى أراد أن ينعم على خلقه بالكمال المتمم لنعمه ، فأنعم عليهم بما لا يحتاجونه ويكون فيه حُسن وجَمال ومتعه لهم .

ويلاحظ أن الخيل والبغال والحمير وإن اشتركت في أداء وظيفة ركوب الإنسان عليها إلا أنها لا تتساوى في سرعتها ، ولا تتساوى كذلك في أداء وظيفة الزينة ، بل إن الناس في المعتاد تتعلّق بالخيل في الحُسن والجَمال، ولا يكاد أن يكون للحمير من زينة يلتفت الناس إليها ، ومن ذلك يلاحظ أن وصف الحمير في هذا السياق جاء مع أداء الحمير لوظيفة ليس من شأنها أصلاً وهى الجَمال والزينة، فهي تشترك مع الخيل والبغال في أداء وظيفتيّ الركوب والزينة إلا أنها أقل شأنًا من سابقيها ، وهو ما يؤكده تأخير اسم الحمير عن الخيل والبغال ، فالزينة في الأصل للخيل خاصة المسوّمة، ولذلك قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ﴾ [آل عمران:١٤]، وأن يكون في الحمير من زينة فذلك ليس مما يُناط بها في الأصل.

وجاء الموضع الثاني لصيغة (حمير) في قوله تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٩]، وهذه الآية من وصايا لقمان عليه السلام لابنه ، وهى وصية لكل المؤمنين إذ أوصى الله تعالى بها لقمان وذكرها في معرض الثناء عليه في القرآن الكريم ، وهذه الوصية تأمر بخفض الصوت ليكون غضًا أي حسنًا مقبولاً ومريحًا في سماعه ، فهو أمرٌ بالحُسن والجمال وليس أمرًا ضروريًا بدونه تفسدُ حياة الإنسان كالأمر بالتوحيد وبرّ الوالدين ، فالأمر بغضِّ الصوت ومن قبله الاعتدال في المشي أمر بمراعاة التلطُّف وتتبع الحسن ، واستكمالٌ لأخلاق الإنسان بما فيه زينة له بعدما استقام على التوحيد وأقام الصلاة .

والآية إذ توصي بهذا الحُسن (اغضض من صوتك) زينة للإنسان وتجعله مقترنًا باعتداله في المشي زينة وبهاءً في هيئته ؛ تحذر من الصوت المرتفع الصارخ ، فهو مستقبح منكر لا قيمة له ولا فائدة مرجوة منه ، فهو يشبه صوت الحمير المنكر في قبحه والصارخ دون نفع ، فهذا الصوت يؤدي عملاً ليس له أن يؤديه أصلاً ، فالأصل أن يكون الصوت غضًا جميلاً وأن يكون نافعًا مُفهمًا ، أما هذا الصوت المنكر فهو يؤدي عملاً آخر وهو القبح والإزعاج، وهذا العمل ليس منوطًا به صوت

الإنسان الذي تحذره الآيات أن يشبه الحمير في أداء عملٍ ليس للصوت أن يقوم به أصلاً .

ففي كلا الموضوعين نجد لزومًا دلاليًا لصيغة (حمير) وهو استكمال احتياجات الإنسان بالزينة والحسن والجمال ، إما بتصريح حصول الزينة من الدواب المسخرة لركوب الإنسان عليها، أو بالأمر بالحُسن والزينة بغضِّ الصوت واعتدال المشية ، ففي ذلك جمال وزينة للإنسان.

كما يلاحظ أن في كلا الموضعين اقترن الحديث عن الزينة والجمال بانتقال الإنسان من مكان لمكان ، فالموضع الأول في سورة النحل يتحدث عن انتقال الإنسان بالخيل والبغال والحمير التي يركبها وله فيها زينة ، والموضع الثاني في سورة لقمان يصوّر تنقّل الإنسان بالمشي ، وهو قسيم الركوب في التنقل ، وجاء ذلك مع الأمر بالاعتدال (القصد) في المشية وهو ما يُزيّن الهيئة ويدلّ على الهيبة والوقار، ومع الأمر بغضّ الصوت الذي يزينه في مسامع الآخرين، فصيغة (حمير) جاءت مع دلالة الزينة المقترنة بالانتقال من مكان إلى مكان ، حتى وإن لم يكن هذا الانتقال بالحمير ، ليكون اللزوم الدلالي موجودًا مع الاسم وإن لم يقتصر وقوعه على الاسم، فاللزوم الدلالي يأتي مع تغاير المضامين .

وإذا كانت دلالة الزينة والانتقال تختصّ بصيغة (حمير) فإن اللزوم الدلالي لاسم (حمار) بجميع صيغة نجده في هذه الموضعين أيضًا ، فنجد فيهما دلالة أداء الحمار أو من يتشبه به عملاً ليس له أن يؤديه أصلاً ، فليست الزينة عملاً مرجوًا من الحمير أصلاً ، وإن وُجدتْ فيه نزرًا ، ولم يُجعل صوت الإنسان للعويل المنكر والصراخ المستقبح .

فاسم (حمار) جاء في ثلاث صيغ لازمته دلالة أداء الحمار ـ أو من هو مَثَلٌ له ـ عملاً ليس له في الأصل ، كما لازمت كل صيغة دلالة : فصيغة المفرد (حمار) جاءت مع إعطاء بني إسرائيل الآيات الدالة على البعث والتي تؤكد قرب الموت والبعث منهم، وصيغة (حُمُر) جاءت مع نفور الكفار من الوحي ، وصيغة (حمير) جاءت مع الزينة وانتقال الإنسان من مكان إلى آخر.